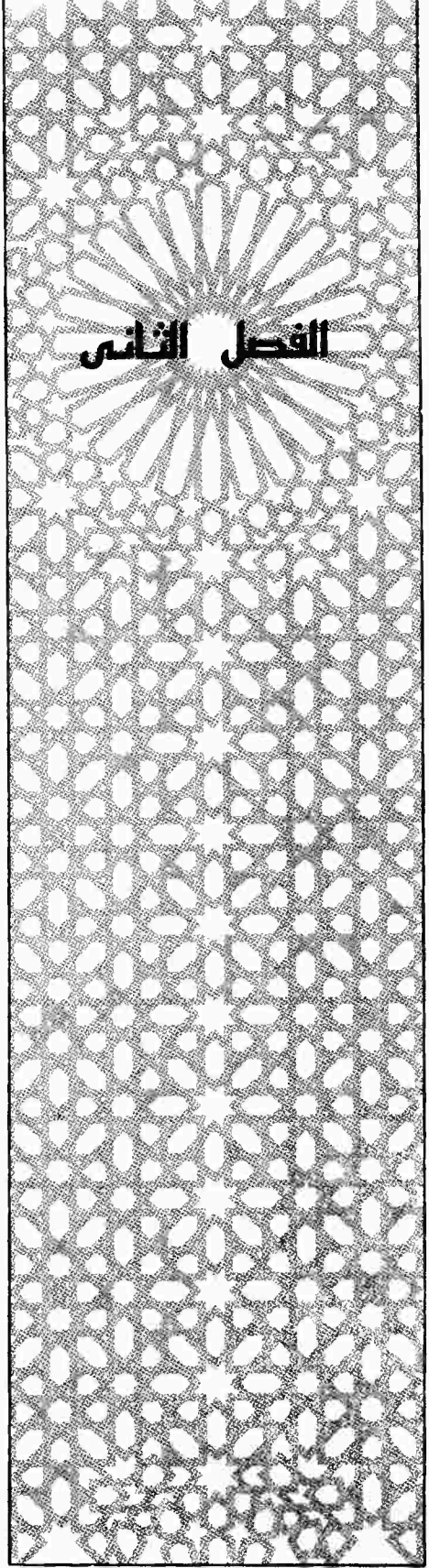

الفصل الثانى

أصحاب الكهف
فى المصادر المختلفة

أصحاب الكهف فى المصادر المختلفة

أولاً: أصحاب الكهف فى المصادر اليهودية:

لم يرد لأصحاب الكهف ذكر فى المصادر اليهودية، ولذلك فإن قصة أصحاب الكهف التى وردت فى القرآن الكريم تعد من القصص القليلة التى لم يرد لها ذكر فى التراث الدينى لليهود، بعكس قصص القرآن الأخرى التى نجد لها ما يقابلها فى قصص التوراة وغيرها من القصص الدينى الذى وقعت أحداثه بعد التوراة، ثم أقحمه اليهود على كتبهم الدينية.

وعدم وجود ما يشير ــ ولو من بعيد ــ إلى قصة أصحاب الكهف فى كتب اليهود، يرجع إلى سبب واحد، وهو أن الفتية الذين قال عنهم يهود المدينة: إنهم «ذهبوا فى الدهر الأول» (أى أصحاب الكهف) كانوا من اليهود الذين آمنوا بالمسيح عيسى بن مريم بشرًا رسولاً، وهو الذى بشرت به التوراة على لسان أنبياء بنى إسرائيل المتعاقبين، ومهد لظهوره النبى يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان). ولما كان زعماء اليهود وكذلك عامتهم يتوقعون أن يكون النبى المرتقب على شاكلة موسى وداود وسليمان، أى نبيًّا محارباً وقائداً عسكريًّا، وزعيماً سياسيًّا يحقق لهم النصر على أعدائهم، بل وينكل بهؤلاء الأعداء فيشردهم، بل ويذبحهم، ويسبى نساءهم، وينهب أموالهم، كما هى عادة بنى إسرائيل دائماً، وكما تحدثت توراتهم، فإنهم ــ أى اليهود ــ أصيبوا بخيبة أمل عظيمة عندما وجدوا النبى الجديد (المسيح) يدعوهم إلى السلام والتسامح والحب والاستعداد لقيام ملكوت الله، فسخروا منه وناصبوه العداء، وغضبوا على كل من تبعه منهم وآمن بدعوته، واعتبروه خارجاً على شريعة موسى وعدوًّا لليهود يجب عقابه والتنكيل به، فكانوا يرجمون من تصل أيديهم إليهم من هؤلاء المؤمنين، أما من لم تصل أيديهم إليهم

كأصحاب الكهف، فإنهم عاقبوهم بالتجاهل وتحريم ذكرهم، وهو ما فعلوه حين تعمدوا أن تَخْلو أسفارهم من أى إشارة إلى الفتية الذين ذهبوا فى الدهر الأول، ومع ذلك ــ طبقاً لما ورد فى كتب السيرة والتفسير الإسلامية ــ فإن الذين حرضوا مشركى قريش على توجيه بعض الأسئلة إلى الرسول ﷺ بقصد اختبار صحة نبوته، ومن بنيها السؤال الخاص بأصحاب الكهف، أو «الفتية الذين ذهبوا فى الدهر الأول وما كان من أمرهم» كانوا هم يهود المدينة (يثرب) مما يدل على أنهم كانوا يعرفون قصتهم.

وعلى أى الأحوال فإن عدم وجود قصة أصحاب الكهف فى التراث اليهودى لا يعنى أنها لم تحدث، فوجودها أو عدم وجودها لا أهمية له، خاصة بعد ما تبين من أن اليهود قد زوروا التاريخ وشوهوا وقائعه خدمة لمصالحهم، وتأييداً لمزاعمهم وافتراءاتهم، فهم معروفون بالجرأة على الحق إلى الدرجة التى لم يتورعوا معها عن الكذب على الله وتزوير كتابه المنزل على موسى عليه السلام.

ثانياً: أصحاب الكهف أو النيام السبعة فى المصادر المسيحية:

وردت قصة أصحاب الكهف أول ما وردت فى التراث الدينى المسيحى تحت اسم «النيام السبعة» أو «نيام أفسوس السبعة» منسوبة إلى الأسقف السورى «چيمس» من أهل ساروج؛ ولهذا سمى «چيمس الساروجى» ويقول إدوارد جيبون فى كتابه «سقوط الإمبراطورية الرومانية» (١) نقلاً عن «اسمانى» الذى يعد أول من أشار إلى هذه القصة فى كتابه قائلاً: «ومن بين قصص التاريخ الدينى أرانى مسوقاً إلى انتقاء القصة الشهيرة، قصة النيام السبعة، الذين يتفق تاريخهم المزعوم مع عهد «ثيودوسيوس الأصغر» وغزو الوندال لأفريقيا. فعندما تعرض المسيحيون لاضطهاد الإمبراطور ديكيوس، اختبأ سبعة من النبلاء الشبان بمدينة أفسوس داخل كهف فسيح غائر فى سفح جبل مجاور للمدينة. وهناك قضى عليهم الطاغية بالهلاك بأن أصدر أوامره بأن يغلق عليهم مدخل الكهف إغلاقاً محكماً بكومة من الأحجار الضخمة، وللحال راح الشبان فى سبات عميق طالت مدته بصورة معجزة إلى مائة وسبع وثمانين سنة، دون أن تتأثر قوى الحياة فيهم. وفى نهاية تلك الفترة أزاح عبيد أدوليوس، الذى آل إليه ميراث الجبل تلك

(١) الجزء الثانى ص ٢٦٦.

الأحجار الضخمة ليشيدوا بها بناء ريفياً، ونفذ ضوء الشمس إلى داخل الكهف، فكان هذا إيذاناً باستيقاظ النيام السبعة، وشعر هؤلاء النيام بالجوع بعد نوم ظنوه ساعات قليلة، فقرروا أن يعود واحد منهم سرًّا إلى المدينة لشراء ما يحتاجون إليه من خبز، ووقع اختيارهم على جامبليكوس، ولم يستطع الشاب ــ إذا جاز لنا أن نطلق عليه هذه التسمية ــ أن يتعرف على منظر بلده المألوف لديه، وزادت دهشته عندما رأى صليباً كبيراً منقوشاً على الباب الرئيسى بمدينة أفسوس، وارتبك الخباز عندما شاهد ملبسه الغريب وسمع لغته القديمة، ثم قدم له جامبليكوس عملة عتيقة من عهد ديكيوس على أنها العملة المتداولة فى الإمبراطورية، وهنا ارتاب الخباز فى أن الشاب قد عثر على كنز خفى، فساقه أمام القاضى، وترتب على ما دار بين الرجلين من استفسارات أن وضحت القصة المذهلة، وهى أن قرنين من الزمان تقريباً قد انصرما منذ أن فر الشاب وأصدقاؤه من غضب الطاغية الوثنى، وسارع إلى زيارة كهف النيام السبعة أسقف أفسوس، والكهنة، والحكام، والشعب، بل الإمبراطور ثيودوسيوس نفسه، كما يقال. وما إن منح هؤلاء السبعة بركتهم للحاضرين وقصوا عليهم قصتهم حتى وافتهم المنية فى سكون وهدوء، ويعلق «جيبون» على هذه القصة قائلاً: «ولا يمكن أن يكون اليونان الحديثون هم الذين لفقوا هذه الأسطورة العجيبة بدافع من السذاجة والتقوى؛ لأن القصة المتواترة الصحيحة يمكن تتبعها إلى تاريخ انقضاء خمسين سنة على حدوث المعجزة المزعومة. فالأسقف السورى چيمس من أهل ساروج، الذى ولد بعد سنتين من موت ثيودوسيوس الأصغر، خصص إحدى عظاته المائتين والثلاثين للإشادة بشبان أفسوس. وقبل أن ينتهى القرن السادس كانت أسطورتهم قد ترجمت من اللغة السريانية إلى اللاتينية بفضل عناية جريجورى، أسقف مدينة تور، كما أن الطوائف الشرقية المعادية تحتفظ بذكراهم بالاحترام نفسه، وكذلك دونت أسماؤهم بصورة مشرفة فى التقويم الرومانى والحبشى والروسى».

ويضيف «جيبون» إلى ذلك قوله: «ولم تقتصر شهرتهم على العالم المسيحى وحده، بل إن هذه القصة الشائعة التى لا بد أن النبى محمداً قد سمعها عندما ذهب بقوافله إلى أسواق سوريا، قد نزلت فى القرآن كوحى إلهى، وأخذت الأمم التى تدين بالإسلام من البنغال إلى إفريقيا، قصة النيام السبعة وثقتها».

كذلك جاءت قصة النيام السبعة فى دائرة المعارف للأخلاق والديانات، ولكن بتفصيل أكبر من ذلك الذى أوردها به جيبون فقد جاء بها :

إن الإمبراطور «ديسيس» Decius يدخل في المدينة اليونانية القديمة «أفسيس» ويجدد فيها عبادة الأوثان، ويأمر أهل المدينة والمسيحيين بصفة خاصة، بتقديم الذبائح والقرابين لها، وأقلع عدد من المسيحيين عن عقيدتهم النصرانية. وبقى عدد منهم متمسكين بديانتهم، محتملين اضطهاد رجال الحكومة، وتعذيبهم. وهنا يقدم إلى الإمبراطور سبعة من الشباب (وتقول بعض الروايات: إنهم كانوا ثمانية) وكانوا مقيمين فى السراى، وقد اختلف فى أسمائهم وقد اتهموا باعتناق النصرانية سرًّا، وهو يرفضون تقديم القرابين إلى الأوثان، ويمهلهم الإمبراطور لمدة طمعاً فى أن يرجعوا إلى صوابهم، ويتوبوا عن النصرانية، أو يخرجوا من المدينة.

وفى خلال هذه المدة يغادر هؤلاء الشباب المدينة، ويأوون إلى كهف فى جبل قريب كان يسمى بـ Anchilus ويخرج أحدهم واسمه Diomedes أو Imblicus منتكراً،وفى ثياب متسخة مرقعة ــ إلى البلد ؛ليتعرف الأخبار، ويشترى الطعام، ولا يمضى على ذلك كثير حتى يرجع «ديسيس» إلى المدينة، ويأمر بأن يقدم إليه الشباب، ويخبر Diomedes زملاءه بهذا الأمر السلطانى، فيتناولون الطعام، وقد استولى عليهم الحزن والقلق، ثم يستغرقون فى نوم عميق طويل يسلطه الله عليهم، ولما لم يهتد الإمبراطور إلى هؤلاء الشباب، طلب آباءهم، فأبدوا براءتهم من هذا التهرب، وأن تكون لهم يد فى هذه المؤامرة، وأخبروه بأنهم مستترون فى جبل Anchilus وهنا يأمر الإمبراطور بأن يسد مدخل هذا الكهف بحجارة كبيرة، فيموتوا هناك حتف أنوفهم، ويبقوا مَوْءودين فى هذه المغارة، ويكتب مسيحيان، أحدهما Theodore والآخر Rufinus قصة هؤلاء الشهداء الشباب على لوحة من معدن، ويدفنانها تحت الحجارة التى سد بها الغار، وبعد أن مضى عليهم ثلاثمائة سنة وسبع سنوات فى عهد الإمبراطور ثيودوسيس الثانى Theodosius تقوم ثورة يقودها بعض المسيحيين، وتنكر جماعة منهم على رأسهم القس ثيودور Theodore عقيدة بعث الأموات وإمكان حشر الأجساد، فيفزع ذلك الإمبراطور المسيحى ويشغل باله، وهنا يلهم الله رجلاً اسمه Adolius أن

يبنى زريبة لغنمه فى الميدان الذى يقع فيه الكهف ، ويستخدم البناءون لبناء هذه الزريبة الحجارة التى سد بها هذا الغار، وهكذا ينكشف هذا الكهف ويوقظ الله هؤلاء الشباب فى هذه الساعة ، فيخطر ببالهم أنهم ناموا ليلة ، ويتواصون بأن يموتوا شهداء على يد « ديسيس » إذا ألجأتهم الضرورة .

ويذهب أحدهم وهو Diomedes إلى المدينة كالعادة ويقف حائراً أمام الصليب المنقوش على رتاج المدينة حتى يضطر إلى أن يسأل أحد السابلة : هل هى مدينة أفسس حقاً ، ويصبح تواقاً إلى إخبار زملائه بهذا الانقلاب العظيم ، ولكنه يملك عاطفنه ويشترى الطعام ، ويقدم فى ثمنه النقود التى كان يحملها ، وهى العملة التى كان يتداولها الناس فى عهد ديسيس ، ويعتقد صاحب الدكان وأهل السوق أن الشاب قد عثر على كنز قديم ، ويريدون أن يكون لهم نصيب فيه ، ويهددون الشاب ويخوفونه ، ويقودونه من بين وسط المدينة وأسواقها ، ويتألب عليه الناس ، ويبحث الشاب فى هذا الجمع الحاشد عن رجل يعرفه ، فلا يجده ، ويستخبره الأسقف حاكم البلد عن شأنه ، فيخبره بالقصة بطولها ، ويدعوهم إلى أن يرافقوه إلى الكهف ، ويزوروا زملاءه الآخرين ، فيرتقون قمة الجبل ، وهناك يجدون لوحتين رصاصيتين تصدقان قصة الشاب ، فيدخلون الكهف ويجدون زملاءه أحياء ، يغشى وجوههم النور والسكينة ، وينمى الخبر إلى الإمبراطور Theodosius فيزور الكهف ، وهنا يقول له Maximilian أو Achillides أو شاب آخر: إن الله قد سلط عليهم النوم ليبرهن على الحشر والنشر، ثم أيقظهم قبل أن تقوم القيامة ، وبعد ذلك مات الشباب موتهم الأخير، وقد بنى هيكل رومى فى تذكارهم (٢) .

ويلاحظ على هذه القصة التى أوردتها دائرة المعارف للأخلاق والديانات ظهور شخصيتين جديدتين هما المسيحيان اللذان كتبا قصة الفتية عندما دخلوا الكهف ، وتم إغلاقه عليهم بأمر من الإمبراطور ديكيوس ويسمى أحدهما ثيودور Theodore والآخر Rufinus وقد كتبا القصة على لوح من المعدن دفناه تحت الحجارة التى سد بها الكهف ، أما القصة التى رواها (جيبون) فلم يرد فيها ذكر لأحد قام بكتابة قصة الفتية ، وإنما ذكر فقط أن الأسقف چيمس الساروجى الذى كان كاهناً لمقاطعة ساروج فى العراق ، هو الذى كان أول من ذكر هذه القصة فى

(٢) راجع فى ذلك : محمد تيسير ظبيان ، أهل الكهف ص ١٨٨ وما بعدها .

إحدى عظاته ، ولم يبين كيف وصلت إليه أو اتصل علمه بها .

وكان چيمس هذا وقد ولد سنة ٤٥٢ ميلادية ، ومات عام ٥١٨ ، وفى قول آخر أنه قد مات سنة ٥٢٠ ، أى أن ولادته كانت بعد وفاة الامبراطور ثيودوسيوس الثانى المعروف بالأصغر ، فهو من معاصرى الامبراطور جستينيوس الأول الذى حكم من سنة ٥١٨ إلى سنة ٥٢٧ أى أنه حسب القول الثانى الذى يجعل وفاته سنة ٥٢٠ يكون قد عاش العامين الأخيرين من عمره تحت حكم جستنيوس .

أما المستشرق الألمانى فنسنك A.J. Wensinck (٣) فإنه يقول فيما كتبه عن أهل الكهف : « إن قصة أهل الكهف ظهرت لأول مرة فى الشرق فى كتاب سريانى يرجع تاريخه إلى القرن الخامس ، ذكرها ديونيس من تل مهرة ، ووردت عند الغربيين فى كتاب ثيودوسيوس عن الأرض المقدسة ، وأسماء الفتية فى هذه المصادر أسماء يونانية ، وليس هناك اتفاق على ما إذا كانت الرواية التى ذكرها ديونيس قد نقلت عن اليونانية أم أنها كتبت بالسريانية من أول الأمر » .

ويتفق فنسنك مع جيبون فيما قاله من أن القرآن يقصد بأصحاب الكهف الإشارة إلى الفتية الذين جرت العادة فى الغرب على تسميتهم « نوام أفسوس السبعة » .

ومما رواه « جيبون » عن « النيام السبعة » يتبين أن عدد الفتية كان سبعة ، وأن سباتهم العميق طالت مدته إلى مائة وسبع وثمانين سنة ، وأن الكهف الذى لجئوا إليه ولبثوا فيه نياماً كل هذه المدة يقع قريباً من مدينة أفسوس بآسيا الصغرى ، وأن الملك الوثنى الذى أوى الفتية إلى الكهف فى عهده كان يسمى ديكيوس (٢٤٩ ــ ٢٥١) ميلادية .

أما الملك الذى بعث الفتية فى عهده فهو الملك ثيودوسيوس الأصغر أو الثانى (٤٠٨ ــ ٤٥٠) كذلك يعد بياناً هامًّا ما ذكره جيبون من أن الفتية عندما اختبئوا فى الكهف أصدر ديكيوس أوامره بأن يغلق عليهم مدخل الكهف إغلاقاً محكماً بكومة من الأحجار الضخمة . وأنهم استيقظوا لما أزاح العبيد تلك الأحجار الضخمة ليشيدوا بناء ريفيًّا ، فنفذ ضوء الشمس إلى داخل الكهف .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، طبعة الشعب ، المجلد الثالث ص ٤٥٥ .

كذلك جاء ذكر لقصة أهل الكهف فى الكتاب الذى وضعه سعيد بن البطريق (٤) وأسمـــاه «نظم الجوهر» قال ابن البطريق: وفى ثمانى سنين من ملك ثدوس ظهـر الفتية الذين كانوا هربوا من «ذاقيوس» الملك، واختفوا فى الكهف.

ذلك أن الرعاة على طول الزمان كانوا إذا مرُّوا بذلك فى الموقع الذى هو الكهف قلعوا الطوب المبنى على باب الكهف حتى عاد مفتوحاً كالباب، فلما انتبه الفتية توهموا أنهم كانوا نياماً ليلة واحدة، فقالوا لصاحبهم الذى كان يذهب يبتاع لهم الطعام: امض واشتر لنا طعاماً واستعلم خبر «ذاقيوس».

فلما خرج إلى باب الكهف نظر إلى البنيان والهدم، ثم مضى حتى بلغ المدينة وهى «أفسس» فرأى باب المدينة عليه صليب كبير منصوب، فأنكر ذلك فى نفسه، وقال: أحسب أنى نائم، فأقبل يمسح عينيه وينظر يميناً وشمالاً: هل يرى من يعرفه، فلم ير، فبقى متحيراً وقال: لعلى أخطأت الطريق، ولعل هذه مدينة أخرى.

ثم دخل المدينة فدفع دراهم مما كان معه، عليها صورة «ذاقيوس» الملك، فأنكروا عليه، وقالوا: لعله أصاب كنزاً، ثم قالوا: من أين لك هذه الدراهم، وإلا قتلناك؟ فلم يكلمهم.

وصاح الناس، فاجتمع إليه خلق كثير وكلموه فلم يكلمهم، فصاروا به إلى بطريق المدينة، وكلمه فلم يتكلم، فهدده فلم يتكلم، فجاء إليه أسقف المدينة فكلمه وخوفه وقال: إنك إن لم تكلمنى وتقل لى من أين لك هذه الدراهم قتلتك، إنما كان يمتنع عن الكلام خوفاً من «ذاقيوس» الملك.

فقالوا له: إنه قد مات وملك بعده جماعة ملوك، فضربوه حتى آلمه الضرب فخبرهم بحاله على جليتها فقالوا له: إن ذاقيوس قد مات وملك بعده ملوك كثيرة، وملك اليوم «ثدوس» وقد ظهر دين النصرانية.

---

(٤) سعيد بن البطريق وكنيته ابن البطريق، أقيم بطريقاً على الإسكندرية فى العام الأول لخلافة القاهرة (٣٢٠هـ ــ ٩٣٢م) وله من العمر ستون سنة وبقى فى منصبه لحين وفاته عام ٣٢٨هـ.

ثم سار معهم إلى الكهف فنظروا إلى أصحابه والصندوق النحاس الذى فيه الصحيفة الرصاص مكتوب فيها قصتهم وخبرهم، فكثر تعجبهم وكتبوا إلى الملك يعلمونه بخبرهم، فركب وسار إلى مدينه أفسس فنظر إليهم وكلمهم.

وبعد ثلاثة أيام دخل إليهم فوجدهم أمواتاً، فأمر أن يتركوا فى الكهف ولا يخرجوا، ولكن يدفنون فيه وتبنى عليهم كنيسة، وتسمى بأسمائهم ويعيد لها عيد فى كل سنة فى ذلك اليوم، وانصرف إلى القسطنطينية.

قال: فمن وقت هرب الفتية من ذاقيوس إلى الكهف، إلى الوقت الذى ظهروا فيه وماتوا، مائة وسبع، أو تسع وأربعون سنة، وذكر شاروبيم فى كتابه (الكافى) أن أهل الكهف كانوا من سكان منبج وأن كهفهم كان بها (٥).

وهناك دراسات حديثة لموضوع (أهل الكهف) منها الدراسة التى أجراها المستشرق الفرنسى (لويس ماسينيون) الذى نشر كتاباً عام ١٩٦١ باسم (النائمون السبعة ــ أهل الكهف) باللغة الفرنسية أتى فيه ببعض البيانات والاستنتاجات التى تدعم وجهة نظره الدينية، وقال نقلاً عن الدكتور جيشوند: (لقد كان لأهل الكهف فضل كبير على تقوية إيمان المسيحيين فى مدينة (أفسوس) وذلك لأن المسيحيين نظروا إلى نوم السيدة مريم المجدلية والقديس يوحنا كنوم أهل الكهف من حيث إخلادهم للرقاد ثم بعثهم).

ومن هذه الدراسات أيضاً الدراسة التى أجراها (جان كلود بيكارد) وهو فرنسى أيضاً، والتى أطلق فيها على قصة النيام السبعة عنواناً هو (حجر الزاوية للحوار الإسلامى المسيحى) ركز فيها على ما أسماه اتفاق الديانتين على فكرة (الإخلاص والفناء فى عبادة الله، والصمود فى وجه الاضطهاد والتعذيب، وإثبات نظرية إحياء الجسد والروح (٦).

ثالثاً: قصة أهل الكهف فى المصادر الإسلامية:

بغض النظر عما ورد بشأن (أهل الكهف) فى كتب المفسرين والمؤرخين وغيرهم، فإن قصة أهل الكهف بشكلها الصحيح والمحدد، وردت فى القرآن

(٥) محمد عزة دروزه، تاريخ موجات الجنس العربى ودولها ومآثرها فى بلاد الشام ص ٣٢٣.
(٦) راجع محمد تيسير الظبيان، أهل الكهف ص ٤٥.

الكريم فى السورة رقم ١٨ التى تحمل نفس الاسم أى (سورة الكهف) وهى مكية فيما عدا بعض آياتها، فقد نزلت بالمدينة. وليس فى الأحاديث النبوية ولا فى أقوال الصحابة ما يشير إلى تفاصيل هذه القصة. فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد لجمل هذه القصة التى وردت فى سورة الكهف، التى كان نزولها فى الفترة السابقة على هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وهى الفترة التى عدلت قريش فيها عن السياسة التى تعتمد على السخرية من الرسول والاستهزاء به، واتهامه وتخويفه واستعداء الناس عليه، إلى سياسة جديدة تعتمد على الإيذاء والتعدى والاضطهاد والضغط الاقتصادى، وفرض العزلة عليه وعلى أتباعه من المؤمنين ويقول المودودى (٧): إن هذه السورة نزلت قبل هجرة الحبشة، فرويت قصة أصحاب الكهف فى الوقت الذى كان المسلمون يضطهدون، ويُنكل بهم، ليثبتوا ويتشجعوا، ويعرفوا ماذا فعل المؤمنون من قبل ليحفظوا إيمانهم».

ومما يلاحظ على هذه السورة أن القصص هو العنصر الغالب فيها، ففى أولها تجىء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفى وسطها تجىء قصة موسى مع العبد الصالح، وفى نهايتها قصة ذى القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد فى إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية، ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها (٨).

وقد ورد فى سبب نزول قصة أهل الكهف ونزول قصة ذى القرنين، أن اليهود أغروا أهل مكة بسؤال الرسول ﷺ ــ عنها وعن الروح، أو أن أهل مكة طلبوا إلى اليهود باعتبارهم أهل كتاب أن يصوغوا لهم أسئلة يختبرون بها الرسول ﷺ، فصاغوا لهم ثلاثة أسئلة، أحدها خاص بأهل الكهف، والثانى خاص بذى القرنين، والثالث خاص بالروح.

وفيما ذكره ابن هشام (٩) أن قريشاً بعثت بالنضر بن الحارث ومعه عقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته،

(٧) تفسير سورتى الكهف ومريم ــ ترجمة أحمد إدريس ص٨.
(٨) الأستاذ سيد قطب، فى ظلال القرآن الجزء الرابع ص٢٢٥٦.
(٩) السيرة النبوية الجزء الأول ص٣٠٠.

وأخبراهم بقوله ؛ فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهما أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل ، فَرَوْا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول : ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها : ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح : ما هى ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى ، وإن لم يفعل ، فهو رجل مُتَقَوِّل ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبى ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فَرَوْا فيه رأيكم .

فجاءوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هى ؟ قال : فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم بما سألتم عنه غداً ، ولم يستثن (أى لم يقل إن شاء الله) فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون ــ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه فى ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة ، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

ويرى المودودى (١٠) أن السؤال الثالث لم يكن عن الروح ، ولكن كان عن حقيقة قصة موسى مع العبد الصالح ، وهو يرتب الأسئلة بحسب هذا الرأى على النحو التالى : السؤال الأول : من هم أصحاب الكهف ؟ والثانى : ما هى حقيقة

(١٠) المرجع السابق ص٨.

قصة موسى والرجل الصالح ؟ والثالث : ما هى حكاية ذى القرنين ؟ ويستند فيما ذهب إليه إلى أن السؤال الخاص بالروح أجيب عنه فى سورة الإسراء، وليس فى سورة الكهف ، وبين السورتين عدة سنوات ، وقد رويت فى سورة الكهف ثلاث قصص لا اثنتان ، وعلى هذا يرى أن السؤال الثانى فى الحقيقة كان عن الرجل الصالح (الخضر) لا عن الروح وهو نفس ما ذهب إليه السيد الطباطبائى فى تفسيره المسمى (الميزان) .

وربما يكون هذا القول من المودودى ــ رحمه الله ــ هو الصحيح ، حيث إنه وردت أحاديث تدل على أن السؤال عن الروح جاء على حدة دون السؤال عن الفتية وذى القرنين ، ففى حديث عمر بن حفص بن غياث مرفوعاً إلى عبد الله قال : بينما أنا أمشى مع النبى ﷺ فى حرث وهو متكىء على عسيب ، إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقالوا : ما رأيكم إليه لا يستقبلكم بشىء تكرهونه ، قالوا : سلوه . فقام بعضهم فسأله عن الروح ، قال : فأسكت النبى ﷺ فلم يرد عليه شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، قال : فقمت مكانى فلما نزل الوحى قال :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١١)

رواه مسلم والبخارى .

ومعنى هذا أن السؤال عن الروح وجهه اليهود إلى الرسول بعد هجرته إلى المدينة ، فى حين أن السؤال عن الفتية وذى القرنين وجهه إليه مشركو قريش قبل هجرته من مكة . ولشيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى رأى فيما رواه محمد بن إسحاق عن بعث قريش وفداً منهم إلى أحبار يهود بالمدينة وسؤاله إياهم عن أسئلة يختبرون بها صدق النبى ﷺ، واتصاله بالسماء ، فاختاروا لهم أسئلة فيها سؤال عن أصحاب الكهف . فهو يقول : « وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المخاصمة وآيات الأحكام بقصة ، ويعتقدون أن تلك القصة كانت سبب نزولها ، والمحقق أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هى تهذيب

---

(١١) سورة الإسراء ، الآية ٨٥

النفوس البشرية، والقضاء على العقائد الباطلة فى المكلفين، وهى سبب مستقل لنزول آيات المخاصمة. ووجود الأعمال الفاسدة، وانتشار المظالم فيما بينهم سبب كاف لنزول آيات الأحكام. وعدم انتباههم وازدجارهم بما جاء فى القرآن من ذكر آلاء الله، وأيام الله، وما يقع عند الموت وبعده، علة حقيقية لنزول آيات التذكير. أما القصص الجزئية، والحكايات المعينة التى أتعب المفسرون نفوسهم فى نقلها، وأطالوا النفس فى ذكرها، والحديث عليها ــ فليس لها دخل كبير، ولا أهمية ذات بال، إلا فى بعض الآيات، حيث وقع التعريض فيها لحادثة من الحوادث وجدت فى زمنه ﷺ، أو قبل ذلك، ولا يزال ما يعرض للسامع من التشوف عند سماع ذلك التعريض إلا ببسط هذه القصة».

ويقول الأستاذ محمد تيسير الظبيان(١٢): وقد جاءت هذه القصة فى أوانها ومكانها، فقد كان المسلمون فى مكة يواجهون نفس الأوضاع التى واجهها الفتية فى أوج الاضطهاد والاستبداد فى عهد القياصرة، وكانوا يعيشون فى فترة تشبه الفترة التى عاش فيها الفتية المؤمنون قبل أن يغادروا البلد، ويلجئوا إلى الكهف، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾(١٣).

ودواوين الحديث، وكتب السيرة تفيض بقصص الظلم والقسوة، والتعذيب والتنكيل، وتحكى من أخبار محنة بلال، وعمار، وخباب، ومصعب، وسمية، وأصحابهم ما تقشعر منه الأبدان، ويشمئز منه الوجدان، ويصور القرآن والسيرة الجو الرهيب الخانق، الذى أحاط بالمسلمين فى مكة، الجو الذى لا تظهر فيه بارقة أمل، ولا يتفتح فيه منفذ يدخل منه النور والهواء، فكأنهم كانوا بين طبقى الرحى، فى براثن الأسد الضارى، ولا تعبير أدق من تعبير القرآن:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ

(١٢) المرجع السابق ص ٨.

(١٣) سورة الأنفال، الآية ٢٦.

أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ (١٤).

هنالك ينزل الوحى، ويقص عليهم القرآن قصص الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والعزة بعد الذلة.. فقص الله فى هذه الفترة الرهيبة، التى يستولى فيها اليأس والتشاؤم، وتزيغ الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر ــ قصة يوسف مع إخوته، وقصة موسى مع فرعون، وقص عليهم قصة أصحاب الكهف مع الملك الجبار. والسلطان الطاغية، وهى قصص تختلف عصورها وبيئاتها، وتختلف فيها الأشخاص الذين تدور حولهم القصة وتتفق فى غايتها، وتتشابه فى نهايتها، وتتفق على نقطة واحدة، وهى الإرادة القاهرة التى تنصر المؤمن على الكافر.

ونضيف إلى هذا القول أن قصة أهل الكهف، وقد نزلت قبل الهجرة بعامين أو ثلاثة، إنما كانت تمهد لهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وهى الهجرة التى تخللها لجوءهُ إلى الغار حتى لا يصل إليه كفار مكة بعد أن فشلت محاولتهم لقتله غيلة وهو نائم. ولعل ابن كثير قد لمس هذا التشابه بين الحادثين، حادث الكهف وحادث الغار، عندما أشار إلى هروب الفتية إلى الكهف وبحث الملك الطاغية عنهم فقال: إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليهم خبرهم. كما فعل بنبيه ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور، وجاء المشركون من قريش فى الطلب، فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه، وعندما قال النبى ﷺ ــ حين رأى جزع الصديق فى قوله: «يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا» فقال ــ «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» وقد قال الله تعالى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٥).

(١٤) سورة التوبة، الآية ١١٨.

(١٥) سورة براءة، آية ٤٠.

ولاشك أن ما قاله «الدهلوى» عن عامة المفسرين وتعمدهم ربط آيات القرآن بالقصص، لاعتقادهم أن هذه القصة أو تلك كانت سبب نزول الآيات. هذا القول منه صحيح، حيث إن الباحث فى أسباب نزول الآيات كثيراً ما يجد أمامه كما هائلاً من القصص الذى يتحدث عن أسباب هى فى أغلب الأحيان أبعد ما تكون عن الأسباب الحقيقية. وقد بينا فى الفصل الأول من هذه الدراسة الأضرار التى تسبب فيها القُصاص وغيرهم ممن أخذ عنهم.

موقف المفسرين والمؤرخين المسلمين من قصة أهل الكهف:

من يقرأ كتب التفسير والكتب التاريخية الإسلامية يلاحظ أن المفسرين والمؤرخين المسلمين ينقسمون إلى فريقين، سواء فيما يتعلق بالتفسير أو فيما يتعلق بتناول الوقائع التاريخية، وهو الانقسام الذى فرضه المنهج الذى أخذ به كل فريق عند دراسته للأمرين، فبينما نجد الفريق الأول ينحو فى تفسيره لقصص القرآن نحو الاستقصاء والإحاطة بقصد إرضاء فضول المهتمين بهذا القصص الدينى مما جعله لا يتحرى الدقة فيما رواه من أخبار وما جمعه من نقول امتزجت فى أكثر الأحيان بالخرافات والأساطير والإسرائيليات، ومن هذا الفريق الطبرى وابن عساكر والذهبى والمسعودى ــ فإن الفريق الثانى يلتزم فى تحليله لقصص القرآن الكريم بحدود النص القرآنى، وذلك بتوضيح ما فى القصة من إشارات وعبر، والإجابة عما أثير فيها من مشكلات وشبهات وإجلاء عوامل التأثير فى أسلوبها البيانى، أو حججها العقلية، أو لمساتها الوجدانية. وأصحاب هذا المنهج يعتمدون غالباً طريقة تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة والأثر الصحيح، وإذا أوردوا بعض الأخبار فى القصة عن أصحاب السير، فإما لأنها متواترة مشهورة تلائم حقائق القرآن والسنة، وتلقى الأضواء على ما يحتاج إلى الإيضاح والبيان، وإما لأنها مزيفة تحتاج إلى الرد والتنبيه. ومن هذا الفريق ابن كثير والرازى والزمخشرى والبيضاوى من القدامى، ومن المحدثين محمد عبده وسيد قطب ومحمد الطاهر بن عاشور(١٦).

وقصة أهل الكهف لا تختلف عن غيرها من قصص القرآن من حيث موقف

---

(١٦) الدكتور التهامى نقرة، سيكولوجية القصة فى القرآن ص ٣١.

الفريقين منها، فبينما ينحو الفريق الأول فى تفسيره لها وسردها نحو الاستقصاء والإحاطة، مستعينين بالإسرائيليات والنصرانيات، على الرغم مما فيها من مبالغات وأخطاء، وما يعيبها من تناقض وعدم اتساق، فإن الفريق الآخر يلتزم فى تفسيره للقصة بالغاية التى وردت من أجلها، مستعيناً على بلوغ هدفه ببيان المعانى، وإيضاح المواقف، والكشف عما قد يكون هناك من علاقات بين المواقف، وإبراز حيوية السياق والتنبيه إلى ما فيه من إيقاع واتساق، سواء فى ذاته أو فى علاقته بغيره من القصص.

ومن يقرأ ما ورد فى كتب الفريق الأول عن أهل الكهف يلاحظ الافتعال الواضح والحشو المتعمد والإضافات الغريبة عن السياق مما تضمنته التفاصيل الكثيرة التى نقلت عن المصادر غير الإسلامية، فهم يذكرون أسماء الفتية، واسم الكلب الذى صحبهم إلى الكهف، واسم الملك الذى فروا منه، واسم الملك الذى بعثوا فى عهده، وكذلك اسم المدينة التى يقع الكهف قريباً منها،وغير هذا وذاك من التفاصيل التى يناقض معظمها ما ورد فى القرآن. وفيما عدا ابن كثير الذى حرص على إبداء ملاحظاته وبيان تحفظاته على ما أضافه إلى تفسيره من الإسرائيليات وغيرها مما قد يساعد القارىء على إدراك زيف الروايات غير الإسلامية، فإن غيره ممن ينتمون إلى الفريق الأول لم يحذوا حذوه، وإنما أضافوا ما أضافوه دون تعقيب أو تعليق، حتى بدا كما لو كان حقيقة لا تقبل الشك ولا يجوز التحرى عن مدى صدقها.

وقد لجأ أصحاب هذا النوع من الكتب، سواء أكانت تفاسير أم كتباً تاريخية إلى تفسير الآيات أو تأويلها بقصد رفع التناقض بينها وبين ما أوردوه من تفاصيل، ومن أجل أن يتطابق معناها مع ما ورد فى المصادر النصرانية. وهذا يبدو أوضح ما يكون بالنسبة لعدد الفتية والمدة التى لبثوها فى الكهف، فقد جاء فى بعض الروايات أن عدد الفتية ثمانية، وقيل: إنهم كانوا ثلاثة عشر، وفى روايات أخرى أنهم كانوا ثلاثة، أما عن المدة التى لبثوها فى الكهف ففى الرواية الشائعة المنسوبة إلى الأسقف (چيمس الساروجى) أنها مائة وسبع وثمانون سنة فى حين ذكر سعيد بن البطريق أنهم لبثوا نياماً مائة وسبعاً أو تسعاً وأربعين سنة، فى حين ذهبت رواية أخرى إلى أنهم لبثوا فى الكهف ثلاثمائة واثنين

وسبعين عاماً. وقد أدى هذا الاختلاف سواء فى عدد الفتية أو فى المدة التى لبثوها فى الكهف إلى اختلاف مماثل فيما ذكره المفسرون المسلمون فى هذا الشأن، مما جعل بعضهم يذهب إلى القول بأن ما ورد فى القرآن فى هذا الصدد ليس على سبيل التقرير، وإنما على سبيل الإخبار عما كان يقوله قوم الفتية.

كذلك تضمنت بعض الروايات كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية، غير أن الكثير منها متناقض، وبعضها لم يتيسر تعليله تعليلاً مقبولاً، وهو ما سوف نبينه بعد عرض بعض هذه الروايات، سواء منها ما ورد فى كتب التفسير أو ما ورد فى الكتب التى تحمل اسم «قصص القرآن» وما أكثرها.

من المفسرين الذين أوردوا ما روى عن أهل الكهف: الطبرى فى تفسيره، فقد ذكر عدداً من الروايات المختلفة، إلا أن أكثرها يتفق على القول بأن عدداً من الفتية نبذوا عبادة الأوثان واعتنقوا المسيحية فى مدينة من مدن الروم (اليونان أو آسيا الصغرى) ثم فروا من تلك المدينة وأووا إلى الكهف، وكان معهم كلب عجزوا عن إبعاده، وناموا فى هذا الكهف، ثم جاء الملك الوثنى داقيوس (ويسمى أيضاً داقينوس وداقيانوس) ومعه أتباعه للقبض عليهم، ولكن لم يستطع أى واحد منهم دخول الكهف، فبنى عليهم داقيوس باب الكهف ليموت الفتية جوعاً وعطشاً، ونسى الناس أمرهم بعد ذلك، وفى يوم من الأيام بعث أحد الرعاة برجاله وأمرهم بفتح الباب ليتخذ من الكهف حظيرة لغنمه، ولما دخل رجاله الكهف لم يروا أول الأمر الفتية الذين بعثهم الله فى الأجل الذى ضربه ليقظتهم، وعندما استيقظوا كانوا لا يزالون يملؤهم الفزع والرعب من الخطر الذى نجوا منه، فعمدوا إلى الحيطة وبعثوا بأحدهم إلى المدينة ليشترى لهم طعاماً، ولم يعرف بائع الطعام النقود التى دفعها إليه الفتى، فقد نام الفتية ثلاثمائة سنة وتسعاً، وكانت الوثنية قد انقرضت خلال هذه المدة، وحلت النصرانية محلها، وفرح الملك بأصحاب الكهف فرحاً عظيماً؛ لأن بعثهم أيد عقيدة دينية كان البعض يشك فى صحتها، وهى أن الناس يبعثون بالجسد والروح معاً. ولم يكد الفتى يعود إلى الكهف ثانية حتى ضرب الله على آذانهم مرة أخرى، فشيدوا فى ذلك المكان كنيسة.

وفى الطبرى رواية أخرى تنسب إلى وهب بن منبه وتقول هذه الرواية : « إنه جاء حوارى من أصحاب عيسى إلى تلك المدينة وأراد أن يدخلها فقيل له : إنعلى بابها صنماً ، لا يدخلها أحد حتى يسجد له ، فلم يدخلها وأتى حماماً قريباً من المدينة ، فكان يعمل فيه ، فرأى صاحب الحمام البركة على قدومه ، وعلقه الفتية فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدقوه . فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحوارى فاستحيا ، ثم رجع مرة أخرى فعيره فسبه وانتهره ، ودخل الحمام ومعه المرأة فماتا فى الحمام ، فقيل للملك : إن الذى بالحمام قتلهما ، فطلبه الملك فلم يجده ، فقال : من كان يصحبه ؟ فذكر له الفتية ،فطلبهم فهربوا إلى الكهف مع صاحب لهم ،وتبعهم كلهم أيضاً » .

وفى رواية أخرى رواها الطبرى فى تفسيره لقصة أهل الكهف يقول عن عكرمة قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الإسلام ، فتفردوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على أصْمِخَتهم ، فلبثوا دهراً طويلاً حتى هلكت أمتهم ، ثم جاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلماً ، واختلفوا فى الروح والجسد فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعاً ، وقال قائل : تبعث الروح ، وأما الجسد تأكله الأرض فلا يكون شيئاً ، فشق على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد ، ثم دعا الله عزو وجل فقال : يارب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم ما يبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف . ثم يذكر بقية القصة .

أما ابن كثير فإنه يقول عنهم : « ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف ، أنهم (أى أصحاب الكهف) كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم ، وأنهم خرجوا يوماً فى بعض أعياد قومهم ، وكان لهم مجتمع فى السنة يجتمعون فيه فى ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ، ويذبحون لها ، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له « دقيانوس » وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه ، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك ، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم ، عرفوا أن هذا الذى يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغى إلا لله خالق السموات والأرض ، فجعل

كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز عنهم ناحيته. فكان أول من جلس منهم أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر، وجاء الآخر، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان، والغرض أنه جعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه، خوفاً منهم، ولا يدرى أنه مثله، حتى قال أحدهم: تعلمون ــ والله يا قوم ــ أنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء، فليظهر كل واحد منكم ما بأمره فقال آخر: أما أنا فإنى (والله) رأيت ما قومى عليه، فعرفت أنه باطل، وإنما الذى يستحق أن يعبد (وحده) ولا يشرك به شيء، هو الله الذى خلق كل شيء: السموات والأرض وما بينهما، فقال الآخر: وأنا والله وقع لى كذلك، وقال الآخر كذلك، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق، فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه، فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل، ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله:

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ﴾ (١٧).

فيقال: إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله، أبى عليهم، وتهددهم وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم، وأجّلهم لينظروا فى أمرهم، لعلهم يراجعون دينهم الذى كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم فى تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه، والفرار بدينهم من الفتنة.

فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم، واختار الله لهم ذلك، فعند ذلك خرجوا هرباً إلى الكهف، فأوَوْا إليه، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم، وتطلبهم الملك فيقال: إنه لم يظفر بهم، وعمى الله عليهم خبرهم.

وقد قيل: إن قومهم ظفروا بهم، ووقفوا على باب الغار الذى دخلوه، فقالوا:

---

(١٧) سورة الكهف، الآية ١٤.

ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم، فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم فَفُعِلَ ذلك.

ومن الفريق الذى يفسر القرآن بالقرآن السيد أبو الأعلى المودودى، ففى تفسير له لسورتى الكهف ومريم، بدا حرصه واضحاً على الالتزام بهذا المنهج وعلى الرغم من أنه أشار إلى قصة النيام السبعة المسيحية ولم يستبعد أن تكون هى بعينها قصة أهل الكهف فإنه كان حريصاً على تسجيل تحفظاته بشأن نقاط الاختلاف بين القصتين.

أما المرحوم سيد قطب فإنه يقول فى تفسيره (فى ظلال القرآن) ما نصه: «وفى القصة روايات شتى، وأقاويل كثيرة: فقد وردت فى بعض الكتب القديمة وفى الأساطير بصور شتى، ونحن نقف فيها عند حد ما جاء فى القرآن، فهو المصدر الوحيد المستيقن، ونطرح سائر الروايات والأساطير التى اندست فى التفاسير بلا سند صحيح. وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها، وعن المراء فيها والجدل رجماً بالغيب» (١٨).

كذلك نجد الكتب التى تحمل اسم «قصص القرآن» تتحدث عن أهل الكهف نقلاً عما ورد بكتب التفسير، مع اختلاف بينها فى اعتماد هذه الرواية أو تلك، فمنهم من نقل عن الطبرى مما هو منسوب إلى وهب بن منبه، ومنهم من نقل عن ابن كثير مع إضافة بعض التعديلات التى تجعل القصة غير متعارضة مع ما ورد فى القرآن (١٩).

وقد نسجت دوائر المعارف والموسوعات العربية على نفس المنوال، فذكرت قصة النيام السبعة بإيجاز، مثال ذلك ما جاء بالموسوعة العربية الميسرة تحت مادة أهل الكهف: سبعة من الشهداء حبسوا فى كهف أحكم إغلاقه بالقرب من أفسوس أيام اضطهاد الإمبراطور ذيسيوس (حوالى ٢٥٠ ميلادية) وبعد فترة طويلة أفاقوا وكأنهم كانوا فى سبات عميق، وقدموا للإمبراطور ثيودوسيوس الثانى (المتوفى ٤٥٠ ميلادية) الذى اطمأن إيمانه المتزعزع بسماع قصتهم، ثم عاد الشبان

(١٨) المجلد الرابع ص ٢٢٦١.

(١٩) محمد أحمد جاد المولى وآخرين، أصحاب الكهف ص ٢٧٤.

إلى كهفهم لمواصلة نومهم إلى اليوم الآخر. قصتهم شائعة فى المسيحية، ورد فى ذكرهم فى القرآن.

أما القاموس الإسلامى الذى وضعه الأستاذ أحمد عطية الله فقد حرص فى روايته للقصة على الالتزام بما ورد فى القرآن بشأن أصحاب الكهف، مكتفياً بالإشارة إلى أن بعض المستشرقين يقولون: إن قصة أصحاب الكهف هى أسطورة يونانية أو مسيحية قديمة، جرت أحداثها فى مدينة أفسوس بآسيا أيام حكم الإمبراطور وشياس، الذى كان حرباً على المسيحية. وتكاد الموسوعة الثقافية لا تختلف فيما أوردته بشأن أهل الكهف عما أوردته الموسوعة العربية الميسرة، ولعل ذلك يرجع إلى أن الموسوعتين قد تم وضعهما بتوجيه وإشراف من مؤسسة فرانكلين الأمريكية، أو ربما يكون الأستاذ الذى كتب مادة أهل الكهف قد استعان بما سبق أن ورد فى هذا الشأن بالموسوعة العربية الميسرة التى أشرفت على طبعها وأنفقت عليها مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مؤسسة فورد الأمريكية، كذلك فإن معظم مادة الموسوعة العربية الميسرة مستقاة من الموسوعة الأمريكية «كولومبيا فايكنج دسك».

ولم يقف الأمر فى النقل عن القصة المسيحية (النيام السبعة) على كتب التفسير وكتب التاريخ والكتب التى تتناول قصص القرآن، بل تجاوزها أخيراً إلى الإذاعة والتليفزيون فيما قدماه من قصص القرآن والأنبياء فى قالب درامى، وكانت قصة أهل الكهف من بين القصص التى قدمتها الإذاعة والتليفزيون، واعتمد فيها واضعوها على ما جاء فى كتب التفسير والتاريخ وغيرها من أحداث وأسماء للأشخاص والأماكن استقيت كلها من القصة المسيحية، فرأى الناس وسمعوا يمليخا ومكسميلينا وافريكانوس وغيرهم ممن زعم أنهم فتية الكهف، وعرفوا أن الكهف يقع فى أفسوس، وأن الملك الذى دخلوا الكهف فى عهده هو ديكيوس، فى حين بعثوا فى الكهف فى عهد ثيودوسيوس الثانى أو الأصغر. وعلى الرغم مما بذل من محاولات لتلافى الاختلافات الجوهرية بين قصة أهل الكهف وقصة النيام السبعة بحيث تبدو القصتان متطابقتان، إلا أن التوفيق بينهما كان متعذراً إن لم يكن مستحيلاً، ذلك أن الربط بين القصتين هو من أصله ليس له أساس. ولا يبرره بأى حال وجود بعض أوجه الشبه بينهما، وهى الأوجه التى

دفعت بعض المفسرين إلى أن يتخذوا من القصة المسيحية دليلاً على صدق القرآن فيما رواه عن أصحاب الكهف، وجعلتهم يفسرون بعض الآيات تفسيراً من شأنه أن يزيل الاختلافات بين القصتين، وهو ما لم يكن يجوز لهم أن يفعلوه، وبطبيعة الحال فإنهم لم يجرءوا على المساس بالقصة المسيحية؛ لأنها كما وقع فى روعهم، ثابتة تفصيلاً فيما كتبه النصارى عنها، فبقى أن يمسوا بالقصة الإسلامية خاصة وأنها جاءت مجملة موجزة مما يتيح لهم أن يقمحوا عليها كثيراً من التفاصيل التى وردت فى القصة المسيحية، أما نقاط الاختلاف التى لم يسعفهم التفسير بتغييرها فقد عمدوا إلى إهمالها فى القصة المسيحية، مثل سد باب الكهف على الفتية الذى يتعارض مع ما ورد بالقرآن بشأن شروق الشمس وغروبها على الكهف، وأنها كانت تميل عنه فى الحالين حتى لا تنالهم بأشعتها. وغير هذا من الاختلافات التى سنعرض لها فى الفصول التالية.

ولعلنا قد لاحظنا اختلاف المفسرين والمؤرخين المسلمين حول اسم الملك الذى هرب الفتية إلى الكهف فى عهده، فمنهم من قال إن اسمه دقيانوس، ومنهم من قال إن اسمه دقيوس أو ذاقيوس، ومنهم من قال: أن اسمه داشيس، وقال عنه سعيد بن البطريق: إن اسمه ذاقيوس، وهذا ما جعل البعض يعتقد أن كل اسم من هذه الأسماء يخص شخصاً آخر غير شخص الملك الذى قيل إن الفتية فروا منه إلى الكهف، من ذلك ما قاله الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد وهو الذى قام بتحقيق كتاب (مروج الذهب) للمسعودى تعليقاً على ما ذكره الأخير من أن الملك الذى هرب الفتية منه يدعى «دقيوس» فقال: «المعروف أن الملك الذى هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس» ويضيف إلى ذلك قائلاً: «والتاريخ فى مثل هذه المواضيع ليس محلاً للثقة والجزم، فلا معنى لوقوفنا لتحقيق مثل هذه المباحث، والقرآن نفسه لم يتعرض لاسمه ولا لزمنه ولا لمكانه»(٢٠). والواقع أن ما ذكره المسعودى من أن اسم الملك هو «دقيوس» هو الصحيح حيث إنه طبقاً لما ورد فى الروايات المسيحية عن قصة النيام السبعة، فإن الملك الذى زعمت هذه الروايات أن الفتية هربوا منه كان اسمه ديكيوس أو ديسيوس على ما سوف نرى فى الفصل التالى

---

(٢٠) مروج الذهب الجزء الأول ص ٣١٤

ولكن الذى أخطأ فيه المسعودى هو قوله إن الملك الذى استيقظ الفتية فى عهده يدعى «أوالس» الذى كان ملكاً للروم، وقوله: إن مدة مُلْك (أوالس) هذا كانت أربع عشرة سنة، وإن مدة دقيوس كانت ستين سنة (٢١). فالشائع أن الملك الذى استيقظوا فى عهده كان يدعى (ثيودوسيوس الثانى) الذى حكم فى الفترة من ٤٠٨ إلى ٤٥٠ ميلادية، أى أن مدة ملكه كانت ٤٢ سنة وليس أربع عشرة سنة، فى حين أن مدة حكم دقيوس لم تزد على العامين فقط، فقد حكم من عام ٢٤٩ إلى عام ٢٥١. كذلك ذكر سعيد بن البطريق أن الفتية استيقظوا فى عهد ملك اسمه «ثندوس» الكبير. وهذا يختلف مع ما ذكره (جيبون) من أن الفتية استيقظوا فى عهد ثيودوسيوس الأصغر الذى تولى الملك بعد والده ثيودوسيوس الأكبر. كما أنه ذكر أن استيقاظ الفتية كان قرب نهاية حكم ثيودوسيوس وليس كما ذكر سعيد بن البطريق.

وهكذا نجد أن الروايات المسيحية نفسها تختلف فيما بينها فى أمور كثيرة، وهذا الاختلاف ينعكس على الروايات التى وردت فى كتب المفسرين والمؤرخين المسلمين؛ لأنهم استمدوا معلوماتهم من الروايات المسيحية المليئة بالخلط والتناقض، والبعد عن المنطق، وهو أمور ترجع فى جملتها إلى حقيقة طالما غابت عن أعين الدارسين والمهتمين، وهى أن القصة النصرانية ليس فيها من الحقيقة إلا أقل القليل، وأن معظم ما تضمنته من تفاصيل وبيانات ومعلومات لا أساس له من الصحة؛ لأن القصة لم تقع حيث قيل إنها وقعت، أى فى (أفسوس) ولم يكن من بين أشخاصها لا هذا الملك المسمى (داقيوس) الذى قيل إنه اضطهد الفتية ففروا منه إلى الكهف، ولا الملك الآخر المسمى ثيودوسيوس الذى قيل إن الفتية استيقظوا فى عهده، وكان ملكاً صالحاً بل مسلماً أيضاً. فكل ذلك من الأكاذيب التى أضافها «جيمس الساروجى» إلى القصة الحقيقية، ونقلها عنه المفسرون والمؤرخون المسلمون.

ويقول ابن خلدون فى تفسير إضافة الكذب إلى ما كتبه هؤلاء وأولئك: «إنه لما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، فمنها التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه

(٢١) المرجع السابق، جـ١، ص٣٢٣.

من التمحيص والنظر، حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص. فتقع فى قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المفضية للكذب فى الأخبار أيضاً، الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والجرح، ومنها الذهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما فى ظنه وتخمينه فيقع فى الكذب، ومنها توهم الصدق وهو كثير وإنما يجىء فى الأكثر من جهة الناقلين، ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع، لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهى بالتصنع على غير الحق فى نفسه، ومنها تقرب الناس فى الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح، وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقته، فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا فى الأكثر براغبين فى الفضائل، ولا متنافسين فى أهلها، ومن الأسباب المقتضية له أيضاً وهى سابقة على جميع ما تقدم: الجهل بطبائع الأحوال فى العمران، فإن كل حادث من الحوادث ــ ذاتاً كان أو فعلاً ــ لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته، وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال فى الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك فى تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ فى التمحيص من كل وجه يعرض» (٢٢).

(٢٢) المرجع السابق، صفحة ٣٣.